في قضية العنف الأسري
(دراسة فينو مينولوجيه لجذور العنف)

د.حسام الدين محمود عزب*

مقدمة :

إنهـــا لصورة مخيفة مفزعه تلك التى نطالعها كل يوم (صباح مساء) عبر شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد ، عن عالم يجتاحة العنف والبطش والتدمير والارهاب وحروب داخلية وأخرى خارجـــية ، الآف البشر يقتلون يوميا بأيد بشريه ، آلاف الأطنان من الذخيره والمتفجرات تستنفذ كـــل يـــوم وكـــأن الإنسان يقتات عليها ، تطهير عرقى ودينى ، واغتصاب ، وبلطجة فى كل مكـــان، تلـــوث بيـــئى يهدد بفناء البشرية ، مجاعات وأمراض وأوبئه فتاكه هنا وهناك ، مطالب وضغوط ماديه ملحه وبلا نهاية .

والمحصـــله .... جـــيل بائس من الأطفال اليتامى أو المشردين أو ضحايا العنف والإرهاب وآباء نسوا أبناءهم وأنفسهم فى خضم الحياه يلهثون بلا نهاية لا يكادون يلتقطون أنفاسهم وهم من خـــوف الفقر فى فقر ، وشبـ ب تائهون ضائعون مغتربون تراهم سكارى وماهم بسكارى ولكنهم ضـــحايا عنف يبدأ بنسق عنف دولى جماعى منظم يأخذ مظاهر شتى إما بالتدخلات العسكرية ، أو بـــتدخل صـــندوق الـــنقد الدولى لجبايه ديون العالم الثالث الذى يزداد فقراً على فقر حتى أدى لتدمير العماله والنشاط الاقتصادى وإنتشار البطاله أو الإستغراق فى أوهام العولمه : عولمه الفكر والـــثقافه وعولمـــه رأس المـــال والســـوق الحرة أو بمعنى أصح عولمه الفقر أو عولمه العنف والدمار..... إنها مظاهر وأشكال متباينه للعنف .... إننا نوشك أن نغتال أحفادنا ونجهز إنتحاراً كوكبـــيا فـــى القرن الحادى والعشرين : ملايين الناس يعيشون فى فقر وثلاثه أرباع سكان العالم يعيشـــون ضـــياعا والشباب والآباء يهاجرون هنا وهناك هرباً من عالم الجوع إلى عالم البطاله . (روجـــيه جـــارودى ، تعريـــب عمـــرون زهـــيرى ١٤٢٠هـــ ـ ١٩٩٩ / ص ٢٣ ، ميشيل

---

* أستاذ الصحة النفسية المساعد – كلية التربية – جامعة عين شمس

تشوسوفيسكى ترجمه محمد مستجير مصطفى ، ٢٠٠٠ : ص ص ٦ــ٧ ، جون جرى ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، ٢٠٠٠ : ص ٥) .

وبين كل هذا وذاك تفتت الأسرة بتداعى أوصالها ... فلم يعد كثير من الآباء هادئين فرحين بأبنائهم بل يجدونهم عبئا عليهم .

وإذا كانت هذه هى بعض الملامح المأساوية للأزمات والكوارث والنكبات التى جرها العنف علـى العالم المعاصر فإن التساؤل الذى يطرح نفسه الآن هو لماذا تزايد العنف الآن بهذا الشكل الوبـائى لينتشر فى جميع أنحاء العالم ، بل ليمتد حتى إلى المؤسسات والوحدات الصغيره داخل المجتمع الواحد ، كالأسرة ،. والمدرسة والنادى ، والعمل ، بل وحتى فى الشوارع والطرقات ؟!

إذا كـــان العـنف هو أحد المظاهـر القصوية المتطرفه للتعبير عن الدافع العدوانى لدى الإنســان ــ كمـا ذهبـــت إلى ذلك بعض المدارس السيكولوجية كالتحليل النفسى (فريد ألفورد Fred Alford ١٩٩٨ ، ص ص ٦١ ــ ٦٢) واذا كـان هـذا العدوان قد عبرت عنه الديانات السـماويه باعتـباره قدراً مقدورا على الإنسان منذ الخطيئة الأولى لآدم وحواء فتم طردهما من الجـنه " وقلـنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين " (سورة الـبقرة ، آيـة ٣٦) ، وفى الكتاب المقدس أيضاً " وأضع عداوة بينك وبين المرأه ، وبين نسلك ونسـلها ، وهـــو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" ، (سفر التكوين ، الاصحاح الثالث ، آية ١٦) ، ومـع ذلك ، بل والرغم من ذلك فقد كان على الإنسان بحكم القيم الدينية والأخلاقية أن يتحكم فى هذه النوازع العدوانيـــه العنيفه وأن يضبط نفسه حتى لا يفلت منه الزمام ، نقول إنه اذا كان العنف أحد خصائص الطبيعة البشرية الدافعية أو أذا كان قدراً مقدورا على الإنسان ، فإن العـنف كـان يمارس بشكل محدود ومؤقت ــ سواء كان فرديا أم جماعيا أم حتى دوليا فما هى المتغـيرات والظـروف الـتى طرأت على العالم لكى تجعل هذا العنف يتفشى إلى حدا الوبائية Epidemic violence ليصـبح أسـلوب حـياه يومـيه لـدى جميع الشعوب والأفراد وفى كل مكـان؟؟!! ، بل والى حد إنشاء علم جديد متخصص لدراسته هو علم العنف Violencology (جون موناهان وستيدمان John Monahan and Henry J.steadman ١٩٩٤ ، ص ٢)

لا شـــك أن تفشى العنف على هذا النحو إنما يرجع الى حدوث منظومه متكاملة من العوامل السببية التى ظهرت حديثا على الساحة الدولية بحيث يمتد تأثيرها الى جميع أنحاء العالم فى نفس الوقـــت لكى تأتى بمردوداتها ونتائجها السيئة فى نفس الوقت أيضا ، إن ما يحدث الآن من تفشى وبائى للعنف وعلى نحو اكثر حدة إنما هو محصلة لسلسلة متصلة الحلقات من سيادة ثقافة العنف، ولغة العنف التى أصبحت لغة عالمية فى عصر العولمة وثورة الاتصالات والمعلوماتية والإعلام الـــتى جعلـــت العـــالم قـــرية صغيره ، وأدت إلى ما يسمى بالسموات المفتوحة ، ومنذ أصبحت الولايـــات المـــتحدة هـــى القطـــب الأوحد للعالم لكى تصبح " الأمركه" (أى الحياة على الطريقة الأمريكـــية) بكل خصائصها ، وخاصة لغة العنف وثقافة العنف هى " اليو نيفورم Uniform " أو الـــزى الموحـــد للعالـــم كله وعلى نحو " عبر حضارى Cross – Culturally "نفس العـــادات ، نفـــس التقالـــيد ، نفس العيوب والسلبيات ، نفس اللغة ، نفس الثقافه ، ثقافة العنف " أصـــبحت السيطرة العالمية التى تمارسها الولايات المتحدة ، شامله بعد حرب الخليج ، وأصبح ما يحـــدث فى بقية العالم انعكاسا الى حد ما لما يحدث فى الولايات المتحده ، وإذا استسلمنا لذلك ، فسوف نتحرك جميعاً تجاه عالم الفساد .

حيـــث تمـــثل الولايـــات المـــتحدة كل أعراض الإنحطاط على حد تعبير روجيه جارودي ، وبصورة أكثر عمقاً من الإنحطاط الرومانى ، وذلك بقيامها بالآتى :

١ــ تفكـــيك النســـيج الإجتماعى من خلال تراجع المسئولية الجماعية لصالح الأنانية واللا مبالاة .

٢ــ تفكيك المجتمع بسبب تزايد عدم المساواه ، التمييز العنصرى الإقتصادى والثقافى .

٣ــ تفكـــيك مســـتقبل المجتمع ، بسبب محاولة الإستفادة القصوى من الحاضر على حساب المستقبل ، باستخدام الوسائل المتاحة دون الوعى بالأهداف النهائية الكبرى . (روجيه جارودى ترجمة دار الشروق ، ١٤١٩ هـــ ، ١٩٩٩ ، ص ٦٩) .

وتلـــك هـــى نتائج إقتصاد السوق المتوحش ، حيث تسود ، كما كتب هوبز من قبل، " حرب الكل ضد الكل " منطق ونظام السوق الحر بلا ضوابط ، بمنافساته الزائده بين الأفراد والجماعات الذين لا يهدفون ولا يعـــترفون إلا بمصالحهم الخاصة ، هو منطق ونظام الحرب ، هو منطق

الغابـــة ، (روجـــيه جـــارودى ، المرجع السابق ، ص ٧٤ ، روجيه جارودى ، ١٤٢٠ هـــ ـــ ١٩٩٩م ، ص ٩٣) وهكذا ، فإن العنف المتأصـــــل فى المجتمع الأمريكى منذ نشأته على إبادة الشعوب الأصلية ، أى الهنود الحمر ، واستعباد وقهر الزنوج ، واستعمار وإستغلال شعوب العالم وثروتهم تحت مسميات مختلفه كالصداقه ، والتحالف ضد ما يسمونه بالإرهاب ، والنظام العالمى الجديد ، وأخيراً العولمه أو بمعنى أصح الهيمنه أو " الأمركه " ، هذا العنف الأمريكى أصبح الآن مفروضاً على جميع شعوب العالم : كجزء من هذه الهيمنه أو الأمركة ، لغة ، وثقافة ، وأسلوب حـــياة يومية وكأنه يمثل جانباً من عملية " غسيل مخ " تقوم بها أمريكا للعالم ومن الأمور المثيرة للســـخرية والضحك ـــ وشرا البليه ما يضحك ـــ أن كثيراً من شبابنا ونسائنا بل وبعض الرجال ممـــن يفترض فيهم النضج والحكمة يتطلعون إلى أمريكا باعتبارها قبلتهم ومحط أنظارهم وآمالهم بالـــرغم ممـــا نطالعه بشكل يومى عن أخبار القتل والإغتصاب والسطو المسلح فى كل مكان من هذا المجتمع الذى تحول فيه " الحلم الأمريكى " بالقوه والثروه والسياده الى " الكابوس الأمريكي " المفعم بالعنف والرعب والفزع ، " هناك حرب حقيقيه فى شوارع الولايات المتحده ، ويسقط قتلى بالرصـــاص ما يقارب : ٤٥٠٠٠ ، خمس وأربعون ألف شخص ، كل تسعه عشر شهراً ، وهو العدد نفسه الذى سقط خلال تسعة أعوام من حرب فيتنام ، غير أن هذه الحرب كانت قد صدمت الضـــمائر وحركـــت الجماهـــير ، فى الوقت الذى يبدو فيه أن عنف الأسلحة الناريه اليومى قد أصبـــــح من الشيم وملازماً لطبيعه المجتمع الأمريكى "

(جيل ديلافون ، تعريب : نخله فريفر ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥)

وجرياً وراء الأقوال المأثوره بأن الفضل ما شهدت به الأعادى ، وشهد شاهد من أهلها ، فإن كثـــــيراً مـــن مفكـــرى أمـــريكا يعـــترفـــــون صراحة باستفحال العنف وخاصة بين الشباب والمراهقيـــــــن فـــى مجـــتمعهم : " ان المراهقين لا يبتدعون العنف ، بل يتعلمونه ... خلال الســـنوات الثلاثيـــن الأخـــيره ، طورنا ثقافة العنف التى تفوق ، فى تأثيرها ، كل ما خبرناه حتى اليوم ..... إن فى بلدنا جرائم عنيفه أكثر من أى أمة أخرى مصنعه ، وثقافتنا الشعبيه أكثر عنفا مـــن ثقافة البلدان الأخرى ..... فأفلامنا ، ولغتنا فى الإذاعة ، ومسرحياتنا ، ونشراتنا المبثوثه

للشـــبيبة ، وألعابـــنا ، رياضـــتنا ، وأخبارنا المرئيه ، تسبح كلها فى محيط من الكلمات والصور العنيفه ، ففى عالم وسائل الاعلام يتم تصوير الفظاظه ، وكأنها الأمر العادى والمسلى " .

(جيل ديلافون ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩).

وهكـــذا تحول الحلم الأمريكى الوردى الى كابوس أسود رهيب مفعم بالعنف ، وتلك الصورة المفزعه يجسدها ما أورده " رولومای Rollo May زعيم المدرسة الوجودية فى العلاج النفسى فى أمريكا ، نقلاً عن الشاعر جاكوب برونوفسكى Jacob Bronowski فى قصيدته المعنونه " فى مواجهة العنف in the Face of Violence حيث يقول فيها :

" العنف هنا . . .

فى العالم الحكيم . . . .

والعنف ناقوس خطر . . . .

أنا أسمعه فى نواح المنتحبين على الرجال

الذين سقطوا ضحايا . . . .

أنا أراه فى الكوابيس الرهيبه للشباب . . . .

الذين يرددون أنشودة مراهقتهم عبر التاريخ . . . . .

(فـــى رولومـــای Rollo May، ١٩٩٨ ، ص ١٥) ومن ثم " يبدو أننا نغرق فى عصور وسطى جديدة تملؤلها الكراهيات التعصبية ، ويعم خرابها أنحاء المعموره ، وتتالى فيها الحروب، والطريقه التى سنتبعها فى مواجهة هذا العنف المتفجر ستحدد إلى حد كبير كيف سيعيش أطفالنا ، وربما ، كيف سيموتون " (ألفين وهايدى توفلر ، تعريب د. صلاح عبدالله ، ١٩٩٥ ، ص ١١) وإنهـــا لقضـــية إنسانية سامية تلك التى يطرحها عالم المستقبليات Futurist الشهير ألفين توفلر وزوجـــته هـــايدى توفلر (فى أحدث مؤلفاتهما التى تنتمي " للموجه الثالثه The third wave " والمعنون " الحرب والحرب المضاده : الحفاظ على الحياة فى القرن المقبل "

حيـــث أن من الطبيعى أن ينشغل الوالدان السويان فى أسرة سوية بمصير أبنائهما وينتابهما الخـــوف والقلق بل والفزع على هؤلاء الأبناء فى هذا العالم الذى يعج بالعنف المتفجر، وذلك أن الـــتاريخ الإجتماعى للبشر يعلمنا أن من أكثر المسلمات بداهة أن الأسره هى مكان الحب والحنان وواحـــة الأمـــان الخضـــــراء ، وحصن الأمن والنجاه من قسوة العالم الخارجى الأوسع ومن

بطشه، ولكن أن الذى فات " توفلر" وزوجته فى رؤيتهما المستقبلية تلك ، الحاضر هنا ، والآن ، ولـيس المستقبل القريب أو البعيد ، قد أنقلبت فيه الموازين والمعايير رأساً على عقب ، فبدلا من هـذه الصورة الجميلة المشرقة بالحب والأمن والأمان والاحترام والدفء والحنان ، والحماية من غائلـة الأيـام ، وغدر الزمان وما يحمله المستقبل المجهول من علامات إستفهام مفعمة بالخوف والقلـق حول الصحة والمرض أو العجز ، والغنى والفقر والعوز ، والشيخوخه والمصير ، بدلاً مـن هـذه الصـورة المشرقة للأسره ، والعائلة ، والأهل ، والبيت والسكن والسكينه ، والموده والرحمة ، والتراحم والمرحمة بدلا من كل ذلك نجد الأمر فى العديد من الأسر ، وقد أنقلب رأساً علـى عقـب فـلا أمن ولا أمان ، ولا مودة ، ولا رحمة ، بل ليس هناك حتى الحد الأدنى من متطلبات إستمراريه الحياة المشتركة ، وبدلا من أن يقلق الوالدان فى هذا العالم المتفجر بالعنف " على " أبنائهم ، أصبحا للأسف يشعران بالقلق ، بل بالذعر " من " أبنائهم ، من عقوقهم وجفائهم ، بـل من غدرهم وعنفهم الذى يأخذ صور العصيان والتمرد او الإيذاء اللفظي او البدنى والذى قد يصـل الى حد القتل ، كما قد يأخذ صورة طرد الأبناء لأبيهم أولأمهم (من مسكن الوالدين) الى الشـارع أو فـى أحسـن الأحوال إلى دار للمسنين وهم فى شيخوختهم حيث يكونون فى أمس الحاجـه لرعاية أبنائهم لهم وكأن الأبناء يردون لهم ديناً أو ثأراً قديماً عندما أودع الوالدان هؤلاء الأبناء دور الحضانه فى مهدهم ، حيث كانوا هم أيضا فى مسيس الحاجة إلى رعاية الأباء وحنان الأمهات ، وكما تدين تدان.

ذلك هو ــ للأسف الشديد ــ الوضع المقلوب فى العديد من الأسر فى مجتمعنا المعاصر ، وللأسف الأشد فإن هذا الوضع المقلوب فى تزايد مستمر ، حيث إنهارت كثير من القيم الدينية والأخلاقيه التى كانت تجعل من الأسرة واحة الأمن والأمان ، وأصبحنا نخشى أن تكون لغة العنف والبطش والعدوان والإيذاء والإساءة هى لغة التخاطب الوحيدة فى تلك الأسر كما هى لغة التخاطب فى كل مكان من هذا العالم ، بل يرى البعض أن " التواجد فى الأسرة الآن قد أصبح أكثر خطراً من التواجد فى أى مكان آخر من العالم " (جيل كوربين JilleE. Korbin، ١٩٩٥ ص ١٠٧). وخلاصة القـول ، أن العنـــف الآن قد أصبح أخطر من التلوث البيئي ، فكما أن التلوث البيئي لا يعرف حدوداً بين دول العالم ، كذلك العنف لا يعرف حدوداً بين دول العالم

ويزيد على التلوث البيئي الفيزيائى لأن العنف يمثل تلوثا بيئياً اخلاقيا وخطراً حقيقيا مرعبا عاجلاً وسريعاً : هنا والآن ، وينبغى التصدى له بأقصى سرعة ممكنه : فهماً ، ودراسة ، ووقايه، وعلاجاً قبل أن يكتسحنا جميعاً ، لأنه قد أصبح يطاردنا فى كـل مكان : فى أماكن العمل ، فى المدارس والجامعات ، فى النوادى ، فى الشوارع والطرقات ، وللأسف الشديد أصبح يطاردنا حتى فى المكان الوحيد الذى كان يعتبر واحة الأمان الوحيدة فى هذا العالم ، أصبح يطاردنا حتى فى بيوتنا وبين أهلينا وأفراد أسرنا : أزواجنا ، أبناءنا أباءنا ، أمهاتنا ، أشقاءنا .... فهل هناك ماهو أشد فتكا وإرعاباً من العنف الأسرى ؟!!!

أهميـــة الدراســـة :

تنطوى رسالة الوالدية ـ شأن كل الأمور الأخرى فى هذا العالم ـ على المزاوجة بين الشئ ونقيضه ، وذلك منذ اللحظات الأولى لـــهذه الرسالة الوالدية السامية ، فالأبناء يمكن أن يكونوا مصـــدراً للســعادة وقـــره للعيـــن : " المال والبنون زينه الحياة الدنيا " (القرآن الكريم ، سورة الكهـــف، آية ٤٦) ، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأجعلنا للمتقين إماماً) (سورة الفرقان ، آية ٧٤) وقد صدق من قال :

" وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا . .. اكبادنا تمشى على الأرض "

" لو هبت الريح على بعضهم . .. لأمتنعت عينى عن الغمض "

(حطان بن المعلى)

ولذلك لم يكن من المستغرب أن تجد من حرموا من نعمة الإنجاب وقد بذلوا قصارى جهدهم وأنفقـــوا كـــل غال وثمين فى سبيل علاج عقمهم لكى يحصلوا على طفل ، حتى وإن كان (طفل الأنابيب) أو حتى وإن كان طفلاً بالتبنى .

وإذا كـــان هذا هو الجانب المشرق للوالدية ، فإن الجانب الآخر هو النقيض لذلك تماماً حيث يمكن أن يكون الأبناء أيضاً مصدراً للشقاء والمعاناة والفتن :

(يـــا أيهـــا الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفـــروا فـــإن الله غفـــــور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ....) (سورة التغابن ، آية ١٤ ــ ١٥) وعن هذا المعنى عبر الشاعر قائلاً : ــ

" ضل الذين رأوا فى النسل فائدة . ". ولو أصابوا لما ربوا ولا حضنوا "

(إبن سنان)

ويتفق معه شاعر آخر حيث يقول :

" أرى ولد الفتى كلاً عليه ". لقد سُعِدَ الذى أمسى عقيماً "

(أبو العلاء المعرى)

ويقول فى موضع آخر : ــ

" ربيت شبلاً ، فلما أن غدا أسد ". عدا عليك فلولا ربه أكلك "

(أبو العلاء المعرى)

وهكذا ، فإن خلاصة القول أن " الوالدية هم وشقاء ، وهى سعادة وهناء ، فى آن واحد ، إنها المتناقضات وقد اجتمعت فى دور واحد ، فيالها من مهمة .. " (عبدالله ناصح علوان ، ١٩٨٤ ، جـــ ١ ، ص ٧٥) . وإذا كانت هذه الطبيعة الجدلية هى سنة الخالق سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالعلاقـــات الوالديـــة والبنوية فى كل العصور ، فإن عصرنا هذا على وجه الخصوص ــ حافل بالأمثلة والبراهين على ما أصاب هذه العلاقات من إختلالات أطاحت بالكثير من توازناتها ، فهو " العصـــر الـــذى إنفجـــرت فيه موجات عدوان مكبوتة من الأبناء ضد الآباء ، ومن النساء ضد الـــرجال ومن الرجال ضد النساء ، لا بل ومن الأمهات ضد الأطفال ، ومن الآباء ضد الأبناء ، حـــتى صـــار جـــزءاً عادياً ما نقرأ فى الصحف من بيع أب لأبنائه أو قتل أم لأطفالها أو إطلاق الرصـــاص من مسدس الابن على أمه أو أبيه أو عليهما معاً ... " (دكتور سبوك ، ترجمة منير عامر ، ١٩٧٧ ، ص ١٦).

وبالـــرغم من أننا فى مجتمعاتنا العربية ما زلنا نعتبر أن مثل هذه الأشكال من العنف العائلى مازالـــت قليلة نسبياً ، وذلك بالقياس إلى مدى تفشيها فى المجتمعات الغربية إلا أن الأمانة العلمية تقتضـــينا أن نعترف بأنها أصبحت فى تزايد مستمر بحيث لا يمكننا التهوين من شأنها أو التقليل

مـــن خطر تفشيها أو تفاقمها فى مجتمعاتنا بحيث يمكن أن تصل إلى حد (الوبائية) أو يمكن أن تـــتخطى مستـــوى (الضغوط) بدرجاتها المختلفة إلى مستوى تفجر (الأزمة) بكل ما تنطوى عليه الأزمات من حدة وعنف يصعب علينا إدارتها أو السيطرة عليها .

وفـــى غمـــرة هـــذه الضغوط والأزمات يختلط الحابل بالنابل ويفقد الوالدان التوجه السليم ، وتختـــلط (بوصلة) الحياة وتصبح الوالدية عبئاً ثقيلاً ودوراً كريهاً إلى الحد الذى يجعل الوالدان يقســـمان بـــأغلظ الإيمان " أننا لسنا الذين نربى أولادنا ، بل هم الذين يربوننا " ، وقد يصلان من خـــلال هذا التخبط والتذبذب والفشل المتكرر إلى القناعة بمقولة يائسة مؤداها " أننا على أى نحو تصرفنا مع أبنائنا فسوف نخطئ !! " فلا جدوى من القسوة ، ولا فائدة من اللين ، الحرمان مجلبة للإنحـــراف ، والعطـــاء مفسدة للنفوس ، القهر والإرغام مدعاة للثورة والتمرد ، والحرية وترك الحـــبل علـــى الغارب تسيب وإنفلات . إذا استغرق الآباء فى العمل ليلاً ونهاراً لإشباع الحاجات الماديـــة الـــتى لا تنتهى ، ضاع الأبناء فأصابهم اليتم النفسى ، وأذا لم يفعلوا ذلك ، سقط الأبناء فريسة لمشاعر النقص والدونية عندما يرون ما فيه أقرانهم من رغد العيش ورفاهية الحياة ، إذا تفرغـــت الأم لتربـــية الأبناء وإشباع حاجاتهم للرعاية والأمومة ضاقت الموارد المالية عن الوفاء بحاجـــات الأبناء ، وإذا خرجت الأم للعمل جفت ينابيع الأمومة لديها وأصاب أطفالها اليتم النفسى أيضاً ، الم يقل أمير الشعراء أحمد شوقى :

" ليس اليتيم من أنتهى أبواه .. من هـــــم الحيـــــــاة وخلفاه ذليـــلا "

" إن اليتيم هو الذى تلقى له .. أمـــا تخلـــت او أبا مشغـــــــــولاً "

وإذن ، أين الطريق ، وكيف الخروج من هذا المأزق بل وكيف نتعامل مع هذه الضغوط لكى لا تـــتحول الى ازمات ، وما هو السبيل ؟ ماهو الدور الوالدى الحقيقى ؟ وما مدى تأثير السلوك الوالـــدى علـــى الطفل ؟ بل مامدى تأثير سلوك الطفل على الوالدين ؟ وما هى معوقات الوظيفة الوالدية ؟ . قد تبدو الإجابة على هذه التساؤلات سهلة ميسورة للوهلة الأولى ، فجميعنا يعرف أن العلاقـــة بيـــن الوالدين والطفل ، تسير تلقائيا برصيد من المعارف التى يكتسبونها من حولهم من الآبـــاء ، أو مـــن مشاهد الوالدية التى يتم إختزانها فى الوجدان . والعقل عبر سنوات طفولتهم ، وشبابهم .

" وفـــى الحقـــيقـــة ، إن كـــل والديـــن يملكان حداً أدنى من المعرفة والإلمام بدور الوالدية يمكنهما، من تنشئة طفلهما ، فالطبيعة قد أهلتهما للقيام بهذا الدور " (فايز قنطار ، ١٩٩٢ ، ص ١١).

وعلـــى الـــرغم من تلك البساطة الظاهرية فى الدور الوالدى ، أو الوظيفة الوالدية ، إلا أن " الملاحظ للسلوك اليومى لمعطيات الطفل السلوكية والوجدانية لوالديه ، يجد قدراً هائلاً من التنوع والـــثراء والـــتداخلات لعناصر شتى ، تغمر تلك العلاقة ، تتداخل ، وتتشابك ، وهى فى حقيقتها أعقد مما تبدو على السطح " . (قتيبة سالم الحلبى ، ١٩٨٨، ص ١٧٨ ــ ١٨٠).

يقـــرر الكثـــير من العلماء أن الدعائم الجوهريه لحياه الإنسان الراشد تقوم على ما يتلقاه من رعايه وعنايه وإهتمام وما يتعرض له من مشكلات وصعوبات فى طفولته من جراء ما يلقاه من أساليب توجيه وإرشاد وممارسات من جانب والديه والقائمين على تربيته وتشير عدة دراسات الى أنه اذا كان الطفل يرتبط بأمة بيولوجياً فى علاقة معايشه وكأنهما شخص واحد ، فإنه يرتبط بأبيه بشكل أكثر ميلاً لنسق العلاقات الإجتماعية .

ولا يمكنـــنا النظر الى دور الأمومة أو الأبوة بشكل ينعزل كل منهما عن الآخر وإنما ننظر إلـــيهما فـــى ضـــوء الإرتـــباط المتبادل ، بل والأكثر من ذلك النظر إليهما فى إطار من تفاعل علاقتهما المتمثله فى الأدوار الزوجيه والمهنيه والإجتماعية و غيرها من الأدوار التى يضطلعان بهـــا فينـــبغى النظر الى علاقات الأم بالطفل وعلاقات الأب بالطفل فى إطار من علاقات الأدوار لكـــل من الأم والأب وليس فى ضوء أدوار الأبوه أو الأمومه وحدها أو غير ذلك من مستويات الخبرات المشتركه .

(محمد على حسن ، ١٩٧٠ : ص ٧٣ ، محمود حسن ، ١٩٨١ : ص ص ٩٤ ــ ٩٥ ، سلوى علـــى سليم ، ١٩٨٥ : ص ٣١٠ ، عبدالمجيد سيد منصور ، زكريا أحمد الشربيني .، ٢٠٠٠ ، ص ص ٦٠ ــ ٦١)

ونتســـاءل ... مـــاذا لـــو إضطربت وظائف الأمومه والأبوه إلى الحد الذى يميل فيه الآباء والأمهـــات الـــى ممارسة أشكال العنف مع أبنائهم ؟ تلك الأشكال التى قد تأخذ مظهر الإيذاء الى الأبـــناء لفظـــياً وجســـدياً ، أو تأخذ شكل النبذ والرفض أو ممارسات الغضب أو الهياج أو عدم

الإنفاق أو اهمال التعليم أو غيرهما من أشكال اساءة المعامله أو العنف ، إن كل هذه الأشكال من العنف تتباين فى شدتها ودرجتها ونوعيتها.

ونتساءل ... مرة ثانيه ماذا سيكون رد فعل الأبناء ؟ فالمعروف " أن لكل فعل رد فعل ، وإن كـــان ذلـــك يصـــدق على ظواهر الميكانيكا والديناميكا فإنه اكثر صدقاً وإلتحاماً بظواهر الأفعال النفســية والإجتماعية إلا أنه يضاف إلية قانون آخر مكمل وهو " قانون التراكم " فلا يمكننا النظر الى سلوك يتسم بالعنف والعدوانية على أنه الى ميكانيكى بل هو وليد عوامل إجتماعية وإقتصادية وثقافــية ونفسيه تسهم فى تحديد حجم ذلك السلوك العنيف وشكله وكيفتـــــــه وزمن حدوثه كرد فعـــل مـــن جانـــب الشـــخص الـــذى تعرض للإستغلال أو القهر أو الإساءة " ، (ويكمان بيتر wickman peter، ١٩٨٠.: ص ص ١٤٥ ـــ ١٤٦)

انهـــا التراكميه لمسالك والفاظ العنف والعدوان والإساءه تلك التى يمارسها الأباء دون وعى مـــنهم بتأثـــير بعـــض خصائص الشخصية العنيفة أو تحت وطأة جحيم الحياه وضغوطها التى لا تـــرحم ، والتى لا تمر على الأبناء بسلام بل يحدث تراكميه مماثله من العنف والغضب والرغبة فى الثأر والانتقام وتكبر مع كبر الأبناء .

والمحصـــله ... " ما نقرأه على صفحات الجرائد وما نراه عبر شاشات التليفزيون من فظائع قتل وتنكيل وتعذيب وترويع بين الطرفين : الأباء والأبناء ..... انه عنف متبادل وغضب مـــتراكم يـــبدأ بين الزوج وزوجته اللذان هما الأب والأم ثم يمتد إلى الأبناء ، ثم يستشرى بين الأبناء بعضهم وبعض حتى يصبح كالنيران تمتـــــد إلى كل شئ داخل البيت وخارج البيت ؟؟ (عـــبدالعزيز محمد الحسينى ١٩٤٥ : ص ص ٩٠ ــ ٩٣ ، محمود المراغى ، ١٩٩٨ : ص ص ٣٩ ــ ٤٠ ، إجلال إسماعيل حلمى ، ١٩٩٩ : ص ص ١٢٧ ـــ ١٢٨ ، ليلى عبدالوهاب ، ٢٠٠٠ : ص ص ٨١ ــ ٨٢)

وإن دراستنا الراهنه تكمن أهميتها فى إهتمامها بتلك المرحله التى يحدث فيها بدايات التراكم للســـلوكيات والخصائص النفسيه والمظاهر المتسمه بالعنف من قبل الوالدين وما ينبنى عليها من ردود افعـــال ظاهـــرة أو مســـتتره لدى الأبناء وذلك من أجل تجنب هذه التراكمات السلبية لتلك الوقائع والأحداث المفجعه التى نطالعها فى الجرائد اليومية . بين طالب هندسة يقتل والديه ذوى

المنصـــب المـــرموق ويطـــارد أخته التى تفلت منه بصعوبة بالغة (عبدالعزيز محمد الحسينى ١٩٩٤ : ص ٧) وبيـــن أب يضـــرب طفلـــته (٥ ســـنوات) حتى الموت ، وأم تقتل أبنتهـــا لكراهيتها لزوجها ... الخ (المرجع السابق : ص ٨٣)

إن أهمـــية دراســـتنا الراهنة تتضح من خطورة الموضوع الذى نتصدى له ، فضلا عن قلة وجـــود الدراسات العربية فى هذا المجال النوعى كما تتضح من خلال إطارها النظرى وجوانبها الإحصـــائية وما يرتبط بها من تحليلات وتفسيرات الى محاولة التطرق لتلك الخصائص المرتبطة بشـــكل فعـــال وجوهـــرى بذلك العنف الوالدى وبعض جوانب عنف الأبناء آملين أن تقودنا هذه الدراســـة الى الكشف عن بعض جذور العنف فى المجتمع المصرى تلك التى نفترض أنها تكمن فـــى العنف العائلى آملين أن تقوم هذه الدراسة بفتح الباب أمام دراسة لاحقه تحمل بعض تقنيات التدخل الإرشادى والعلاجى فى الحالات التى تتطلب ذلك التدخل .

مشكلـــة الدراســـــة :

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى التساؤلات التالية :

١) هل توجد علاقة جوهرية بين عنف الوالدين فيما بينهما وبين عنف الأبناء ؟

٢) هـــل توجـــد علاقة جوهرية بين عنف الآباء نحو الأبناء وبين عنف هؤلاء الأبناء نحو آبائهم؟

٣) هـــل توجد علاقة جوهرية بين عنف الأمهات نحو الأبناء وبين عنف هؤلاء الأبناء نحو أمهاتهم ؟

٤) هـــل توجـــد علاقة جوهرية بين عنف الآباء نحو الأبناء وبين عنف هؤلاء الأبناء نحو الأشقاء ؟

٥) هـــل توجد علاقة جوهرية بين عنف الأمهات نحو الأبناء وبين عنف هؤلاء الأبناء نحو ١٧الأشقاء ؟

وهـــذا الـــتعريف الإجـــرائى هو الذى تم تبنيه فى تصميم إختبارات العنف الوالدى وكذلك إختـــبار عنف الأبناء نحو الوالدين، وكذلك اختبار عنف الأبناء نحو الأشقاء، واختبار عنف الأبناء نحو الوسط المدرسى، وهى الاختبارات المستخدمة فى هذه الدراسة.

الإطار النظرى والدراسات السابقة :

تمهيـــد :

إذا مـــا سلمنا بأن العنف هو أحد الأشكال التعبيرية القصوية أو المتطرفه للعدوان ، وإذا مـــا ســـلمنا أيضا بأن العدوان أحد الدوافع الأساسية للإنسان فيلزم عن ذلك بالضرورة أن العنف خاصـــية أو سمه أساسيه من سمات الإنسان يرتبط ظهورها بوجود الأسباب الباعثه عليها ولعل ذلـــك هـــو مـــا عبرت عنه الكتب السماوية المقدسة حيث يقول الحق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

" ..... وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ، ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين " (سورة البقرة . آيه ٣٦).

وفى الكتاب المقدس بدأت العداوة بالأكل من الشجره المحرمه حيث يقول الرب "و أضع عـــداوه بيـــنك وبين المرأه وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه " . (سفر التكوين . الإصحاح الثالث . آية ١٦)

أولاً: الدراسات العربية:

إن بعـــض الدراســـات العربية قد اهتمت بالعنف من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو العـــنف السياسى ذو الأبعاد النفسية لدى الأفراد والجماعات ، وقد توصلت هذه الدراسات إلى أن مـــا يطفـــو علـــى السطح من أشكال عنف سياسى واجتماعى سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات إنما يرجع لنقص فيما يسمى بالتربية السياسية حيث ينشأ الفرد وهو لا يعلم عن حقوقـــه السياســـية شيئاً ويعتمد على مصادر مضللة متمثلة فى الجماعات المناهضة للمجتمع وقد يســـاعد علـــى تزايد العنف السياسى تدهور الأحوال الاقتصادية وتدهور الظروف الاجتماعية فى نطاق المجتمع (عزة عبد الغنى حجازى ، ١٩٨٦ ، محمد نور فرحات ١٩٨٧ ، سالم إبراهيم بن عامـــر ، ١٩٨٨ : ص ٧، ســـيد عويس ، ١٩٨٨ : ص ٣٨ ، أدونيس العكرة ١٩٨٥ ، إبراهيم محمـــود ١٩٩٠ : ص ٢٣ ، محمد سعد أبو عامود ، ١٩٩٠ ، على ليلة ، ١٩٩٣ : ص ص ١ – ٢ ، قـــدرى حفـــنى ١٩٩٣ : ص ٤ . شـــادية علـــى قناوى ١٩٩٦) على أن نوعاً آخر من الدراســـات يلقـــى الضوء على خطورة ما يتعرض له الأفراد سواء كانوا آباء أم أبناء من وقائع الـــتعرض لضغوط الحياة اليومية وجوانب المشقة وأشكال التعرض لملوثات البيئة بكافة أنواعها

ومستوياتها إن هذه الدراسات تشير إلى أن هذا التعرض يزيد من إحتمالية ميل الأفراد للسلوك العنيف الذى يتفاوت فى مستوى عنفه بتفاوت خصائصهم النفسية والاجتماعية ، وأن الأطفال أكثر عرضة من غيرهم لإدراك جوانب السلوك العدوانى العنيف وممارسته وذلك بالاكتساب من مسالك واتجاهات آباءهم (حسنين الكامل، على السيد سليمان ١٩٩٠، أحمد مصطفى العتيق، حاتم عبد المنعم ١٩٩٥ : ص ص ٨١ – ٨٢ ، أحمد زايد ، سميحة نصر، ١٩٩٦ : ص ص ٥٧ – ٥٩ ، عادل سلطان، ١٩٩٨، حسام الدين عزب ، ٢٠٠٠) وثمة تصنيف للدراسات يتناول العنف من زاوية السلوك العدوانى حيث اهتمت الدراسات بتناول هذا السلوك لدى المراهقين والأطفال وطلاب الجامعة فى علاقته بمتغيرات فى الشخصية ولقد توصلت هذه الدراسات إلى نتائج تشير إلى أن سلوك العدوان لدى الأطفال والمراهقين يرتبط ارتباطاً موجباً بما يمارسه الآباء أثناء عملية التنشئة الاجتماعية من ممارسات عنيفة تنمى سلوك العدوان لدى الأبناء وأن المدرسة هى المرتع الخصيب لاستشراء هذا السلوك العدوانى حيث يرتبط العدوان داخل الفصل وتخريب محتوياته بمستوى التعرض للعقوبات وأشكال الزجر والإيذاء وسوء المعاملة المنزلية من جانب الآباء إرتباطاً موجباً فكلما ساءت المعاملة الوالدية ساء السلوك فى المدرسة كما تشير هذه الدراسات فى نتائجها إلى ميل الفرد إلى العدوان أثناء ممارساته فى تأكيد ذاته سواء فى العمل أو خارجه وحتى من خلال الضحك وإطلاق النكتة. (فؤادة محمد على هدية ، ١٩٨٣، ضياء محمد منير ١٩٨٣، فضل خالد حسين أبو هين ، ١٩٨٥، فاروق السعيد جبريل، ١٩٨٥ ، كمال إبراهيم مرسى، ١٩٨٥ على عبد السلام على محمد ، ١٩٨٨ ، خالد إبراهيم الفخرانى ، ١٩٨٩ ، عبلة رشدى مرجان ، ١٩٩٠ ، إيمان السعيد إبراهيم الصرفي ١٩٩٠ ، عزيزة السيد ١٩٩٠ ، سهير كامل ١٩٩٣ ، فرج أحمد فرج ١٩٩٣، طريف شوقى ١٩٩٣، محمد عبد الرحمن حمودة ١٩٩، إبراهيم أحمد السيد عليان ، ١٩٩٣، معتز سيد عبد الله ، ٢٠٠٠ ، حسام الدين عزب ، ٢٠٠٠) واهتمت دراسات أخرى بآثار ممارسات أشكال العنف الوالدى والأسرى بشكل عام تلك الممارسات التى تأخذ شكل إساءة معاملة الأبناء أو أساليب تنشئة اجتماعية خاطئة فلقد أوضحت الدراسات فى نتائجها أن هناك آثار لهذا العنف وتلك الإساءة بعضها يتسبب فى جنوح الطفل الحدث وارتكابه الجريمة أو هروبه من المنزل حيث يتخذ من الطرقات والأرصفة مأوى له مما ينشأ عنه تعرضهم لكل ممارسات الإساءة من خارج البيئة المنزلية بالإضافة لما يحدث لهم داخلها كما تسبب هذه السلوكيات العنيفة داخل الأسرة فى حدوث جرائم القتل داخل الأسرة بين الآباء

والأبـناء أو الـزوج والـزوجة، هـذا فضلاً عن تمخض أنماط العنف الأسرى عن تدهور القيم الأخلاقـية والدينية والاجتماعية وفقدان المراهقين والشباب لعوامل الانتماء والتهديد لأمن الأفراد وأمـن المجتمع كله (محمد على حسن ، ١٩٧٠، سميحة نصر ١٩٨٣ ، محمد مجروس الشناوى ١٩٩٨، إيمان محمد محمود إبراهيم ، ١٩٨٩، رجاء الخطيب ١٩٩٠ ، ليلى عبد الوهاب ١٩٩٢، عـبد الفتاح عبد النبى وآخرون ، ١٩٩٤ ، إجلال إسماعيل حلمى ١٩٩٦ ، ١٩٩٩ ، عزت سيد إسـماعيل ، ١٩٩٦ ، هشام إبراهيم عبد الله ١٩٩٦ ، محمد خضر عبد المختار ١٩٩٨ ، سهير عادل العطار ١٩٩٩ ، سعاد محمود القرشى ، ١٩٩٩ ، حسام الدين عزب ، ٢٠٠٠).

وأخيراً اهتمت نوعية من الدراسات بتقديم البرامج الإرشادية للآباء والأبناء معاً أو لكل فـريق علـى حدة أو بمعنى آخر تقديم برامج الإرشاد لمن قام بالإساءة من الآباء أو للعاقين من الأبناء، وكذلك يتم تقديم برامج الإرشاد النفسى للأبناء الذين يتعرضون للإتجاهات الوالدية السلبية أثـناء ممارسة أبعاد التنشئة الاجتماعية، ولقد توصلت هذه الدراسات إلى أن تقديم برامج الإرشاد الجماعى للأطفال الذين يمارسون سلوكيات عقوق الآباء كسلوك يحمل بين طياته شكلاً من العنف قد أدى لظهور تحسن كشفت عنه درجاتهم على المقاييس المستخدمة، كما كشف المقاييس عن أن تقديم برامج الإرشاد للآباء ذوى الاتجاهات السلبية فى تنشئة أبنائهم (إما بسبب جهل هؤلاء الآباء بالأسـاليب السليمة على نطاق معرفى، أو أنهم يعرفونها ولا يمارسونها بسبب ضيقهم وضجرهم من أبنائهم بسبب الفقر أو كثرة عددهم أو إعاقتهم .... إلخ). إن تقديم هذه البرامج الإرشادية قد أدى إلـى تحسـن الأداء الوالدى وكذلك تعديل الاتجاهات الوالدية نحو الأبناء بما يسمح بخفض جوانـب العدوانية لدى الأبناء (عايدة الرفاعى ، ١٩٩٠، نادية سليم الزينى ، ١٩٩١ ، فوزية عبد الباقى سليم ، ١٩٩٣ ، عمرو أحمد محمد ، ١٩٩٥ ، لطفى الشربينى وآخرون ، ١٩٩٥ ، سمية طـه محمـد ، ١٩٩٧ ، محمد بيومى خليل ، ١٩٩٧ ، ناجى عبد العظيم سعيد ، ١٩٩٨ ، سهام على عبد الحميد ، ١٩٩٨).

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

لقـد تصدت الدراسات الأجنبية للعنف العائلى الذى يحدث بين الزوج والزوجة، وكذلك بيـن الأخـوة وبعضهم وبين الآباء والأبناء على أنه جزء من منظومة العنف الذى يحدث داخل المجـتمع فـلا يمكن النظر للعائلة أو الأسرة على أنها كيان منفصل بذاته، وقد أشارت الدراسات إلـى أن العنف بين أفراد الأسرة يختلف مظهره ومسبباته من مجتمع لمجتمع بسبب نوعية تفاعل

أفـراد الأسرة، وخصائصهم النفسية والاجتماعية والمعتقدات الدينية للمجتمع، والتركيبة السياسية والاجتماعـية لهـذا المجـتمع بالإضافة إلى نوعية العنف الذى يحدث داخل المجتمع كصراعات مدنـية أو صراعات عرقية أو دواعى هجرة أو حروب بين هذا المجتمع وما يجاوره وقد أشارت بعـض الدراسات إلى أهمية الالتزام بتحقيق توصيات المؤتمر الدولى الرابع للأمم المتحدة والذى عقد فى بكين عام ١٩٩٦ ، وما أوصت به الأمم المتحدة من قبل من خلال مؤتمراتها عام ١٩٨٩ ، ١٩٩٣ مـن ضرورة الضغط على الحكومات للنظر فى العنف بين أفراد الأسرة من آباء وأبناء وزوجات وأزواج على أنه قضية حقوق إنسان أكثر منها قضية نفسية أو قانونية أو إجتماعية وفى الولايـات المـتحدة الأمريكـية سن الكونجرس عام ١٩٩٤ قانون لوقاية أفراد الأسرة من العنف وحيـث يـتم فيه تحديد أشكال العنف العائلى واعتباره إنتهاك لحقوق الإنسان ويتم المعاقبة عليه ضمن قوانين الحقوق المدنية الفيدرالية (شتراوس Straus , M. A. ، ف. ديسينوف ترجمة سحر سـعيد، ١٩٨١: ص ص ٣ – ٤ ، حـنة أرندت ، ترجمة إبراهيم العريس ، ١٩٩٢ : ص ٤٢ واريـن Warren K.B. ١٩٩٣ : ص ٢١٨، زيبن وآخرون Zibin, T. et al. ١٩٩٤ : ص ٧٥، فـيرنون Vernon, R. W. ١٩٩٨ : ص ص ٩٠ – ٩١ ، ليـنوروالكر Lenone. E. Walker ، ١٩٩٩).

كما أظهرت دراسات أخرى تناولت العنف الوالدى الذى يمارس على الأبناء فى صورة عـدوان وإساءة وإهمال ... إلخ) أن هذه المظاهر من الإساءة والعدوان تؤدى بالأبناء إلى فقدان تقديـرهم لذواتهـم ومعانـاتهم لمشكلات نفسية اجتماعية ينعكس أثرها على علاقة هؤلاء الأبناء بآبائهم وبالمجتمع فيما بعد بالإضافة إلى مشكلات عمليات التوافق والتكيف الشخصى والاجتماعى (روبينز وهولمز Robins. L. & Holmes, S. ١٩٨٨، فيسنج وآخرون Vissing, Y. et al. ، ١٩٩١ ، سيلفيرن ووينك Silvern, L. & Wink, T. ١٩٩٤، روبيرتز ووازيك Roberts, R. & Wasik, B. ١٩٩٤، وايـدوم وآخـرون Widom, C. et al ١٩٩٥، أوكيـيـف Okeef, H. ، ديفـيد كوريم David, Corime ١٩٩٦، كينيث روبين وآخرون Keneth H. Rubin et al ١٩٩٨، سكوت يابايك Scott. T. Yabiku ، ١٩٩٩).

دراسـات أخرى أظهرت نتائجها أن الإساءة والعدوان داخل المنزل بين الآباء والأبناء تؤدى إلى ظهور إضطرابات الأكل ومشكلات فسيولوجية وصحية للأبناء والآباء معاً (هيرنانديز Hernandez. J. ١٩٩٥، واندر لايك وآخرون Wonderlich S. et al. ، ١٩٩٦).

وفـــى دراســـة وايـــدوم .Widom, C أوضح فيها أن العنف يولد العنف وأنه لا يسهل التعرف إلى بداية الطرف الذى بدأ بالعنف، هل الآباء أم الأبناء أم المجتمع أم الإحباطات النفسية .. إلخ ولذا فهو كالدائرة التى لا يعرف لها بداية ولا نهاية (وايدوم .Widom, C ، ١٩٨٩).

ودراســـات أخـــرى توصلت إلى تأثر سلوك الأبناء فى المدرسة بما يلاقونه من عدوان وسوء معاملة فى منازلهم من آباءهم وأن هذا يؤثر على تحصيلهم الأكاديمى وقدراتهم الاستيعابية للمـــادة الدراســـية فضلاً عن كثرة شجارهم فى المدسة فهم يتعرضون للشغب فى المدرسة حيث يكونـــون جـــناة وضحايا فى آن واحد (سيريزو، فرياز .Cerezo. M. A., Frias, D ، بيريز ، وايـــدوم، .Pereez C: & Widom C ، ١٩٩٤، جـــــيل كوربايـــــن Jill E. Korbin ، ١٩٩٥ ، جـــريج وآخرون .Gregg. E. A. et al ١٩٩٦ ، أرنولد جولد شتاين .Arnold P Goldstein ١٩٩٧، أنـــــدرو .Andrew, J ١٩٩٨ ، روانـــد روبنســـون .Rowand. T Robinson ١٩٩٩، جون كـــــوى وآخـــــرون .John. D. Coie et al ، ١٩٩٩).

دراســـات من نوع آخر تشير إلى بعض الأسباب وبعض النتائج لممارسات السلوكيات العنـــيفة بين الآباء والأبناء وأفراد المجتمع داخل المدينة فهذه الدراسات تشير إلى أنه أثناء حركة الحـــياة داخل المدينة فى مجتمع يحاول فيه كل فرد الارتقاء بمستوى معيشته لا بد وأن يتعرض الأفـــراد للضـــغوط والتوترات وحتى الطفل الصغير، وذلك من جراء الإساءة التى يمارسها عليه الكـــبار. ولا تنسى هذه الدراسات تأثير وسائل الإعلام على ممارسات العنف ، حيث يميل الجميع إلى محاكاتها سواء أكانوا صغاراً أم كباراً ، وتوصى هذه الدراسات بضرورة تقديم الدعم المادى والاجـــتماعى والمعـــنوى للأســـر الفقيرة ، وكذلك أشكال الدعم الاجتماعى للأطفال المساء إليهم (روتر Rutter ، ١٩٨١، كومار Kumar . R ، ١٩٩٠ ، موللر وآخرون .Muller. R. et al ٧، ١٩٩٤، زيكرمان .Zuokerman. D ، ١٩٩٦).

أما النسق الأخير من الدراسات فكان يشير إلى إمكانية التنبؤ بالسلوك العنيف سواء أكان أســـاءة أم عـــدوان أم جنوح أو مسالك ضد المجتمع ... ألخ فهل يمكن من خلال ما يتعرض له الطفـــل مـــن مشاهدات للخلافات داخل أسرته بين والديه أن نتنبأ بسلوكه العنيف اللاحق؟ أم هل يمكـــن مـــن خلال قياس تصورات الأطفال والمراهقين عن الحياة الزوجية والأسرية، التنبؤ بما ســـيكون علـــيه سلوكهم داخل أسرهم ومع أبناءهم؟ ولقد كانت نتائج هذه الدراسات تشير إلى أن المراهقيـــن الجانحيـــن كانوا يعيشون فى أسر بها خلافات زوجية وكذلك كانوا يتعرضون للإيذاء

البدنى العنيف من والديهم ، كما أشارت الدراسات إلى أن الآباء الذين يمارسون العنف مع أبناءهم كانوا وهم صغار يتعرضون لأشكال من العنف البدنى والانفعالى من أبنائهم ومن المعلمين بالمدرسة، على العكس من عينة الآباء غير العنيفين مع أبنائهم حيث قرروا أن طفولتهم كانت سعيدة وهادئة ولم يتعرضوا للعنف من والديهم كما أشارت الدراسات إلى أن هناك عمليات توحد Identification تحدث من الأبناء حيث يميلون لالتقاط اساليب آبائهم فى ممارسة العنف والاعتداء وأنماط الإساءة وأشكال الإدمان على العقاقير ... ألخ. وأن هذا يجعل الأبناء يمارسون نفس سلوكيات آباءهم فيكون الولد مثل أبيه وتكون الفتيات مثل أمهاتهن فى أساليب العنف والإساءة (برايـن وآخـرون Brien. M. et al ، ١٩٩١، ومود، وكانداس Maude. D. & Candas K. ، ١٩٩٢، فيرنون Vernon R. W. ، ١٩٩٢ ، لاين وجون Lynn. F. M. and John M. ، ١٩٩٣، جوديث نيومان وآخرون Judith L. Newman et al. ، ١٩٩٣، وارنر ، ونانسن Warner. J. & Hansen ، ١٩٩٤، تيرنر فيكلهور Turner, H. & Finkelhor. D. ، نيكى كريك Nicki R. Crick ، ١٩٩٧، براد بوشمان Brad. J. Bushman ، ١٩٩٨، سوزان إيجان ، ديفيد بارى Susan K. Egan & David. G. Perry ، ١٩٩٨، دال ستاك ، و ليزا سيرباين Dale. M. Stack & Lisa A. Serbin ، ١٩٩٨ ، دانييل ناجين و ريتشارد Daniel Nagin & Richard. E. ، ١٩٩٩).

تعقيب على الدراسات السابقة:

لقد حفلت الدراسات السابقة سواء العربية أو الأجنبية بتشكيلة تباينات لدراسات تناولت العنف فى جوانبه وبداياته المختلفة من عدون ، وإساءة ، وتطرف وإرهاب وجنوح ... إلخ، أو من حيث تصنيفاته من عنف دولى أو مجتمعى أو عنف عائلى أو أسري أو منزلي أو عنف والدى أو عقوق أبناء، كما تناولت الدراسات أساليب التدخل المختلفة لمعالجة أسباب العنف وآثاره المتباينة على الوالدين والأبناء مما تمثل فى البرامج الإرشادية للأبناء العقاين لآبائهم أو لمن تعرضوا لإساءة المعاملة أو برامج لتخفيض العدوانية عند الأبناء ... إلخ).

وبالرغم من كثرة الدراسات العربية والأجنبية فأننا قد لاحظنا أيضاً افتقار هذه الدراسات إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين عنف الأبناء وعنف الوالدين فى صورته المركبة المتشعبة وكذلك معالجة أشكال العنف الممتدة والتى يمارسها الأبناء كالعنف نحو الوالدين أو نحو الأشقاء، ونحو زملاء المدرسة والمعلمين بل وحتى ناحية مقتنيات المدرسة بالإضافة إلى مقارنة ردود

أفعـــال الأبـــناء ذوى الوالدين العنيفين بردود أفعال الأبناء ذوى الوالدين غير العنيفين، حتى نوفر قـــدراً لا بأس به من الصدق فيما يتعلق بحقيقة العلاقة بين عنف الآباء وعنف الأبناء وقد راعينا أن نوجه عناية خاصة لمظاهر العنف بشكل سافر فمن المتوقع أن من يتعرض لعنف الوالدين معاً يتبايـــن عمن يتعرض لعنف الأم فقط دون الأب أو العكس وأن هؤلاء يتباينون عن الأبناء الذين ينشأون بين والدين غير عنيفين.

الخاتمة

إن مـــا تناولـــناه فـــى دراستنا القصيرة هذه من دراسة للعنف الأسري عامة والوالدى خاصـــة، وكمـــا يدركه الأبناء والعنف كما يصدر من الأبناء نحو الآباء تارة، ونحو الأشقاء تارة أخـــرى، ونحـــو مكونات البيئة المدرسية تارة ثالثة لا يعدو بالنسبة لموضوع العنف إلا قطرة فى محـــيط ذلك الموضوع المترامى الأطراف والمتشعب الذى يجتاح العالم ويمتد فى أرجاءه كالنار فـــى الهشيم، ولقد تخيرنا من موضوع العنف، هذه القصاصة بالذات لما هالنا من عصيان وغلظة الأبناء وعقوقهم وعدوانهم على آبائهم ومعلميهم وكل الموضوعات التى كانت أجيالاً سابقة تنظر إلـــيها بحســـبانها مقدسات. وكنا دائمى التساؤل. ما هى الخلفية التى تحرك هذا العنف؟ هل هى عومـــل تتعلق بالآباء ؟ أم بالمجتمع؟ أم بطبيعة العصر؟ أم بالظروف الاقتصادية؟ أم هى عوامل منبـــثقة مـــن داخل الأبناء المراهقين كعرض لصراع الأجيال؟ أم هى العولمة والغزو الثقافى من ســـائر بـــلاد العـــالم؟ أم كذا ... وكذا ... إلخ. إنها خلفيات وعوامل متداخلة، وربما كانت كلها مجـــتمعة. ولأن الموضـــوع متشـــعب فلـــم نقو إلا على قطرة من محيط نخرج من جنباته بعده توصـــيات على رأسها حديث رسول الله ﷺ: "بروا آباءكم، تبركم أبناءكم وكما تدين تدان". (فى محمـــد نور سويد، ١٩٩٩، ص ٢٥٥). "ولا يجنى والد على ولده، ولا يجنى ولد على والده" (فى نفس المرجع السابق، ص ١٨٣).

إنهـــا كلمات قليلة جمعت خلاصة فن التربية وأصول علم النفس والإرشاد الأسري تلك الـــتى تذخـــر بهـــا المراجع والمجلدات، لقد بدأ بوصية الوالدين فهم بداية كل خير يجنيه الأبناء ويمارســـه ويـــتوحد بـــه، وهـــم من يبقى أثرهم إلى آخر حياة المرء مرتسماً على صفحات قلبه ووجدانه وكذلك أيضاً لم ينس توصية الأبناء بآبائهم حتى تكتمل العلاقة السوية المتوازنة.

كمـــا نوصـــى أن تهتم وسائل الإعلام باختيار المادة التليفزيونية التى تحث على تقديس الآباء واحترامهم وتقدير دور المدرسة والمعلمين ورجال الدين والدعاة بدلاً من تقديمهم فى صور مشوهة بحسبانهم مادة تهكم وسخرية وتطاول وابتزاز رخيص.

ولابـــد أن تهـــتم المدرسة بإعادة التقليد الذى كان متواجداً من قبل من اجتماع لنخبه من آباء التلاميذ على فترات من أجل مشاركة المنزل والمدرسة معاً فى تقويم سلوك الأبناء.

وعلـــى الآباء إتاحة الفرصة للأبناء لإقامة حوار وتفاهم وتحقيق حالة من الاقتناع وذلك لمـــا يلاحظ فى هذه الآونة من غياب الحوار الأسرى والجلسات العائلية وفترات الترفيه الأسرية الـــتى تتـــيح شكلاً من التقارب وإزالة الجفوة والجفاء بين أفراد الأسرة جميعاً، وكذلك نبذ جميع أشـــكال العنف فى التعامل داخل الأسرة وخارجها، وذلك عملاً بقول الرسول ﷺ ، "إن الله رفيق يحـــب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه" (صحيح مسلم، بدون تاريخ، ص ٤٣٣ ، جـــ ٢).

التوصـــــيات:

ونستطيع من خلال ما انتهت إليه هذه الدراسة من نتائج أن نستخلص بعض التوصيات الهامة نذكر منها ما يلى:

١- مناشـــدة كل مؤسسات المجتمع إلى نبذ ثقافة العنف بشتى صورها، والعودة إلى ترسيخ القيم الدينية التى تدعوا إلى المحبة، والرفق، واللين والتسامح.

٢- إذا كـــنا نسلم بأن الأسر هى المحاضن الأولى لأبناء المجتمع، وأن الآباء والأمهات يمثلون الـــنماذج القـــدوة التى يتأسى بها الأبناء، فإننا ندعو كل أب وكل أم إلى الحرص الشديد على ضـــبط النفس والسيطرة على نوبات الغضب والاندفاعية والإفراط فى العقوبة إلى خير ذلك من الممارسات الوالدية العنيفة التى تولد العنف بالتالى لدى الأبناء، فالعنف يولد العنف، وأن الأبناء الذين يمارس عليهم العنف فى الصغر يصدرون هذا العنف بدورهم إلى كل ما يحيط بهم بدءاً من الوالدين أنفسهم ومروراً بالأشقاء والزملاء والأقران حتى يشمل عنفهم المجتمع بأسره.

٣- ضرورة المسارعة إلى إيقاف المواد العنيفة والمحرضة على العنف فى كافة وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون الذى أثبتت كثير من الدراسات خطورته كجهاز يعطى دروساً خصوصية لتعليم العنف من خلال المسلسلات والأفلام التى تفجر الاستعداد للعنف خاصة لدى الشباب.

٤- اعتبار العنف قضية أمن قومى، لأنها تهدد كل ما فى المجتمع من أنظمة وأشخاص ومرافق لـــذى ينبغى سرعة التحرك فى إحتواء هذا الموج العارم الذى يجتاح العالم والسيطرة عليه، قبل أن يجتاح المجتمع مثلما حدث فى مجتمعات أخرى سارت على نفس الدرب فوصلت إلى التفكك أو الانهيار، ولعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها أكبر دليل على ذلك.

٥- ضـــرورة تصـــحيح مسار ما يسمى بجمله تحرير المرأة (مع التحفظ على مصطلح التحرير لأن المـــرأة العربـــية كانـــت دائماً حرة ولم تكن جارية أبداً) حتى لا تتحول هذه الجملة من الـــتحرير إلـــى الـــتحريض للمـــرأة الزوجة والأم، لكى تنقلب على زوجها وأسرتها بالعنف والتدمير بعد أن كانت رمزاً للحب والحنان.

حفظ الله أسرنا وشبابنا من ثقافة العنف وجعل مجتمعنا واحة للأمن والأمان